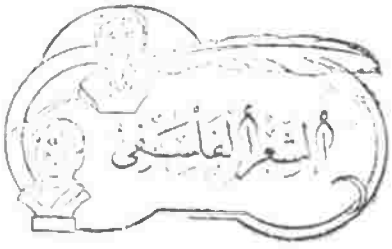

وحدة الوجود

اذا كانت الغرائز الانسانية تمتّ الى العصر الحجرى فلماذا لا تمتُّ أيضاً من ورائه الى خصائص الخلية الحية المنفردة . وانه ليحلو للشاعر أن يتخيل ان خصائص الخلية الحية هى التفاعلات الكيميائية للمادة كذوب مادة فى أخرى أو ميلها الى الاتحاد بها أو نفورها منها ، لأن الكائن المكون من خلية واحدة من المادة الحية اذا قرب منه حامض أكال نفر منه وسبح مولياً وهو لا حاسة له لميزه سوى طبيعة المادة — واذا قربت منه مادة تصلح لغذائه أقبل عليها وهو لا حاسة له . فهذا الميز والادراك المجهول السرّ عندنا هو الحياة وهو بعينه التفاعلات الكيميائية للمادة .

فاذا كانت صفات الجماد هى غرائز الخلية التى هى منبت الانسان والحيوان والنبات وطبائعها الثابتة — أى الغرائز فى الانسان والحيوان — فانه يحلو للشاعر أن يفكر فى وحدة ونسب قديم من التسلسل والنشوء بين طبائعنا والصفات العنصرية للمادة .

(القصيدة)

رققتَ يا فجرُ لا روحٌ ولا بدنٌ ... ورقّ منك ما فى النفس من أملِ !
هل أنت همس النعامى فى تلطّفها ... أم أنت صفو الجواء الجونِ فى المُقَلِ ؟
وهل ضياؤك ما يملا النفوس رضاً ... وراحة من نسيس طال أو ملل ؟
وهل سكونك أنغام الخلود لنا ... فكم صمات له شدوٌ من الرملِ ؟
أم طابت النفس فالمرأىُ صورتها ... معكوسة عن جمال الحبّ والغزلِ ؟
فنسمة الريح حلمٌ والضياء رضاً ... وحلو صمتك ساجى الحب فى الخجلِ
والنفس تحلم فى ملقاك ذاهلة ... كلذة النفس فى سحرٍ من القُبَلِ

عجبتُ يا فجرُ ، بين النفس فطرتها وبين كفيك إصرٌ غير منفصلِ!

« ٠ »

ويا نهيرُ أنامَ النفسَ وداعةً هدوءُ مائك إذ يجرى على مهلِ
يدلى له شجرُ الصفصاف أفرعَهُ لا تستريح سوى فى مرقد البللِ
كأنهن عذارى قد حللن به غدائرا آمناتٍ نظرة الرجلِ
ولو جريت من الملح الاجاج لما رأيت منهن (١) غير الصدّ والوجَلِ
هذى الشجيرات مَنْ فى الكون علمها علم الأواخر بالبرهان والعللِ؟!
ومثلهن أنتك النفس شيِّقة لغمر مائك إذ تنبو عن الوشلِ
عجبتُ يا نهر بين النفس فطرتها وبين كفيك إصرٌ غير منفصلِ!

« ٠ »

ويا زهوراً ضعيفات الضمير لها فى النفس مثل وداع الآزف الاجلِ!
هل من غلائلكِ الريّا يضوع شذا الـ أحلام حولىَ أم من قلبىَ الثملِ
شجوى عليكِ عظيمٌ أن يلم بنا من الحياة خريف البين والمحلِ
فهل أخاف عليك البين أم عظة أخاف منها على شمسى من الطفلِ
يرودكِ النحل من أقصى قفائره يسرى اليكِ به جذبٌ على عجلِ
لى فى غلائلك الريّا قديم هوى ولو خلون من الآراج والعسلِ
عجبت يا زهر بين النفس فطرتها وبين كفيك إصر غير منفصلِ!

« ٠ »

وصيدحٍ من ضعاف الطير حنَّ له إلفٌ على فنن فى النهر منسدلِ
يرجع الشدو إن رقَّ الحبيب له ويحسن الصفوَ مِيهالٌ أخو عذلِ
يا طيرُ جارك مطرابٌ أخو مقة أشجاه لحن نشيد منك مرتجلِ

---

(١) الضمير يعود على الشجر وأفرعه .

أفضت الى مولد الوجدان أغنية ... من ربة الريش لا من ربة الكحل
كأن نشوتها ذكرى نمتُ بنا ... الى حياةٍ لنا فى الأعصر الأوَلِ (١)
فسائل النفس إن حققت نشوتها ... هل شفّها نغمٌ من فارط الأزلِ
وهل تراجع المرابُ الفؤاد بها ... لغابر العهد أيام الفؤاد خلى
وهل تحنُّ اليه عند ذكرته ... كما يحنُّ حنينا ظاعنُ الإبلِ
فان أشاحت عن التسآل معرضةً ... فربما نكبت عمداً عن الجدلِ!

« ٠ »

ما لى وما ليس يعنينى الغناء به ... وانتِ قبل مناجاة الهوى شغلى؟!
وأنت أنت مناط النفس من قِدمٍ ... تعطو لك الروح فى ماضٍ ومقتبلِ
بى وبينك حب قبل مولدنا ... من دونه هالك الآباد والدولِ
كأنه وهو فى طىّ الغيوب لنا ... شوق الظوامى للقيا العارض الهطلِ
أو الضياء اذا انثالت مساربه ... على الجهيم وظهر الدوّ والهملِ
من أين جاءت (٢) وما سرّ الحياة بها ... لا النبت يدرى ولا العقبان فى القللِ
على الحياة مقاديرٌ مقدّرةٌ ... من الطباع وخافى سرّها الجللِ
مثل الحديد اذا اشتد الشواظ جرى ... وإن تباعد عنه النارَ لم يَسلِ
والضوء يسرى خلال النهر منكسراً ... وليس يسرى خلال الصخر والجبلِ
طبعٌ بها ربما تخفيه خافية ... ولست تلقى لأصل الطبع من بدلِ
كذاك حبيكِ أقدارٌ مقدّرةٌ ... وليس من لفتات الجيد والميلِ
لا يزدهيك جمال لو خلقت لنا ... من دونه كنت أهواكِ على عطلِ

---

(١) يعتقد الشاعر اعتقاداً راسخاً بما ورد فى هذا البيت وما يتلوه وانما ايراده على صيغة التشكك على اعتبار انه صادر من الاحساس البعيد فى تلك اللحظة عن التحقيق العلمى بمعنى أن الشاعر قد يصل باحساسه الى ما أثبته العلم بالتحقيق .

(٢) الضمير يعود على الضياء والأمطار فى البيتين السابقين .

فالحب والبغض خصلاتٌ مسخّرةٌ لسُنّة الكون سوم الأينق الذلل
ذريرة أنت فى هذا الوجود وما فطيرة فى خضمّ اليمّ منجفل

« ٠ »

رحماك لا تغضبى من شاعرٍ طربٍ فلا يضيرك قول من أخى خطل
تلك الشكوك ، ولكنّ اليقين بنا أن بين جنبىّ جرح غير مندمل
ذاك الغموضُ ، وما سبح الخيال به سوى الضلال ولكنّ الهيام جلى
سمراء دعجاء مأنوس ملافظها معسولة من لمى عذب على رتل
هذا اللمى زينة الدنيا وغايتها من الشقوء ، وهذا ملتقى السبل
لولاه لم تلق محزوناً ولا ضمناً يأسى لدى القبر أو يأسى لدى الطلل
أين الفرار ؟ ولو شط المزار بنا فكيف دون نسيس الظل مرتحلى
فسائلى الله للأيتام مرحمة وللمساكين فى قدس الصلاة ... ولى

رمزى مفتاح

النعش (١)

يا زورقَ الموتِ ماذا دهاك من ذى الحياهْ
فرحْتَ تجلانَ تجرى لغمجعةٍ فى فلاهْ !

« ٠ »

غادرتَ دنياك لم تحفل بضجّتها حولَ الركاب .. ولا بالدمع الجارى
بمشى اليتامى بأكبادٍ ممزّقةٍ من الأسى ، ورحيل الموكب السارى
والأرامل صرخاتٌ لها ضرمٌ تحت الأضالع مشبوبٌ من النار

(١) من ديوان (أغانى الكوخ) الذى يصدر قريباً .

لاحتْ مناديلهنَّ السودُ خافقة كأنما فُصِّلتْ من حالكِ القارِ
كأنها فى سماء الحزن أغربةٌ تنعى حياتك فى لهفٍ وإنذارِ

* * *

لفّوكَ فى سابرىٍّ مُسْكلٍ بالزُّهُورِ
ما قيمةُ الزهرِ يزهو على طعام القبورِ ؟

* * *

طوّفتَ بالأرض حتى ملّ جانبها وعدتَ خسران منها نضو تسيارِ
كأنَّ عودك يوم البينِ مهتصراً ريحانةٌ فنيت فى جوفِ إعصارِ
واهاً على نظرةٍ لم يحظ مرسلها إلا برجع العمى من دهره الزارى !
واهاً على أعظمٍ همتْ مصادعةً غول الردى فهوت من بطشه الضارى !
وأصبحتْ كالتى مُدّتْ على خشبٍ مضمّخٍ بنفاح الطيبِ والغارِ

* * *

أيُسعِدُ الطيبُ مَيْتاً رنّتْ اليه اللحودُ
أكفانُه عن قريب يسيل منها الصديدُ

* * *

يا عابراً هبط الدنيا فظنّ بها مراتعَ الخلد لا تُحصَى بمقدارِ
فراح يطربُ مخدوعاً بفتنتها ما بين لهوٍ وكاساتٍ وأوتارِ
حتى أدارت له الأيامُ هازئة كأساً مبرّأةً من وصمة العارِ
من كرْمةِ الدّهر.. مَن طافت بساحته لا يستفيق صريعاً بين أحجارِ
وكم تزهّد لا تنفكُّ سبحتُهُ مجنونة التوب من إثمٍ وأوزارِ !

* * *

حتى ثوى فى حضيرٍ وَيلاهُ من ظلماتهْ
يلهو مع الدُّودِ فيه لهوَ البلى فى رفاتهْ

* * *

مها سقى الورد ساقيه وأنعشهُ خمرُ الندى ، ونسيم الربوة الساري
فرفٌ تحت الضحى سَوْسانُه نضِراً في موكبٍ من بنات الزهر ممطار
لا بدَّ للوردِ من ريحٍ تقصّفهُ رغم الضحى ومعين الجدول الجاري
يا حامل النعش ! لا تعجل فانَّ أمَى من حيرة الموتِ أعيا البطش أفكاري
هذا الذي ضاقت الدنيا بمطمعهِ نصيبه كان منها عشرُ أشبارِ !

* * *

وتستوى إن تردَّتْ في هاوياتِ الحتوفِ
جماجمُ البُلهِ فيها ومُخَّةُ الفيلسوفِ ؟

محمود حسن اسماعيل

رحلة فى عين امرأة

والتقتْ أعيننا في لمحةٍ فاذا دنيا بعينيها بدتْ
قفزتْ روحى لها في سرعةٍ ورأت ما هالها فارتعدتْ

« • »

وإذاها وسط بحر صاخبٍ تصرخ الأنواء في لجّاتهِ
وجرت مثل القضاء الغاضبِ صور الرعب على موجاتهِ

« • »

أسلمت لله روحى أمرَها والذى يبأس ما أشجعَهُ
أغرقت والبحر يدوى حذرَها ومضت تصغى لكى تسمعَهُ

« • »

وأجالتْ طرفها في أفقهِ فاذا العالم ماءٌ وسماءْ
لست تدرى غربه من شرقهِ لا ولا تعرف من أين الضياءْ

« • »

هرب الموج إلى حيث هربْ وإذا البحر هدوء وسكونْ

وكأن الموت فى العالم ربّ وصفت روحى لما سوف يكون

« • »

وعلا من خلفها صوتٌ نكيرْ كخليطٍ من صراخ وعواءْ
وبكاء وصهيل وزئيرْ ونهيق وصياح ومواءْ

« • »

قائلاً : كيف أتيت ههنا أيها الروح وماذا تبتغينْ ؟ !
فاجابته : أتعنينى أنا ؟ قال : أعنيك ! بصوت كالرنينْ

« • »

فأجابته : لقد تهتُ فهل لى فيك من هادٍ وقد عزّ الهداءْ
إنما الحب مذلى ومضلى كان إبليساً فهل أنت الاهْ ؟

« • »

أيها الصارخ من خلف الأفقْ أرنى وجهك استهدى بهِ
إن تكن قد نمت عنى فأفقْ واطردْ النومَ إلى طلابهِ

« • »

فبدى فى الأفق شيخ ماردٌ جسمه نور بذقن من شعاعْ
ولعينيه ضياء شاردٌ يكشف النور ويستجلى الخداعْ

« • »

قال : هيا أيها الروح تعالى أنا أعطيك الذى تبغينهُ
أنا من يهدى بديجور الليالى والذى علمنى تدرينهُ

« • »

فاطمأنت ومشت روحى اليهِ ومشت أحلامها فى إثرها
وقفت وامتثلتْ بين يديهِ والأمانى رقصت فى ثغرها

« • »

قال : أنت الروح ، أين الجسدُ ؟ فأجابت : هو فى حضن امرأهْ !
صرخ الشيخُ بها يرتعدُ : لا تقولى امرأةً بل أوبئـهْ !

« • »

إنما المرأة للكون الشقاهْ وهى أصلُ الداءِ فى محنتهِ
أوجدت فى الأرض خبثاً ورياهْ ونَضتْ آدمَ من جنتهِ

« • »

هى والشيطانُ أوفى صاحبينْ سكنت روحاهما فى جسدِ
يفهمان الحبَّ للانسان شينْ فهما والغدر طول الأبدِ

« • »

قالت الروحُ : ومن أنت إذنْ ؟ أحكيمٌ هاربٌ من عالمهْ
فبنى فى أفقه هذا السكنْ وجرى مبتعداً عن ظالمهْ ؟!

« • »

قهقهَ الشيخ طويلا فى غضبْ ثم نادى : يا لها روح غبيهْ !
لم يكنْ فى حسبها أنّى ربّ ؟! خلتها تصلح للحبِّ نبيهْ ؟ !

« • »

أيها الروح أما زلتِ جهولهْ ؟ أنا ربُّ الحبِّ فى هذا الوجودْ
إسمعى يا روحُ دينى وأصولهْ إنه باقٍ كما يبقى الخلودْ

« • »

بَشّرى للحسن فى كلّ مكانْ واعبدى آلاءه فى جسمكِ
واسجدى خاشعةً أيان كانْ واجعليه ربنا فى وهمكِ

« • »

أيّها الروحُ تعالىْ وانظرى جنّةً شيدتها من أمَدِ
حسنها نسّقتهُ فى خاطرى فاذا عينى تراها ويدى

« • »

كلُّ روحٍ عشقتْ ثم انقضى جسمُها تمضى اليها فى أمانْ
قد تناءى الحبّ عنها ومضى واستراحتْ فى ربى هذى الجنانْ

« • »

ثم سار الربُّ موفورَ الوقارِ ومشت روحىَ تعدو خلفَهُ
سمعت فى الجوّ أصوات القهارى كل قمرىّ يناجى إلفَهُ

« • »

وخلا فى جنّةٍ واسعةٍ لعب الحسن على ضفاتها
وبدت فى آيةٍ رائعةٍ زمرُ الأرواح فى جنباتها

« • »

قالتْ الروح : أيا ربُّ أجبْنى هذه الأرواح أرواحُ رجالْ
بُغضك المرأة غبنٌ أىّ غبنٍ! فأجاب الربُّ : ما هذا السؤال؟

« • »

إنما المرأة لا تفهم دينى . لا ، ولا تفهم معنًى للحنان
ليس للمرأة روح فى يقينى فهى إن تنفق تمت كالحيوانْ !

« • »

غضبتْ روحى وقالت ثائرةْ : أيها الربُّ تمرّدْت عليها
أنت فى عينىْ فتاةٍ ساحرةْ تشربُ الخلد هنا من مقلتيها!

« • »

ومضت ترجع من حيث أتتْ تركب الموجات أنّاً والهواءْ
جاهدتْ فى السير حتى وصلتْ جسمها المجبول من طين وماءْ !

« • »

جالتْ الروح بدنيا عانيهْ ثم عادت كرجوع النادمهْ
قلبتْ آفاقها فى ثانيهْ وأنا بين ذراعىْ فاطمهْ !

مأمون الشناوى

المقبرة

هنا باحةُ الموتى هنا ملعبُ الردى ... هنا الموت خطّارٌ هنا الموت جاثمُ
هنا جسدٌ بالٍ وقبرٌ مهدّمٌ ... هنا أمم تثوى وتثوى عوالمُ
هنا اليومَ يومٌ واحدٌ ليس بعده ... نهارٌ مضىءٌ أو ليالٍ قواتمُ
هنا اليومُ يومٌ واحدٌ ليس ينجلى ... ولا يستجدّ الدهر أو يتقادمُ
هنا نوّمٌ ناموا طويلا وما دروا ... وماقصّ رؤياه على الناس نائمُ
هنا نوّمٌ ناموا خلين أفرغتْ ... من الهمّ أحناء لهم وجماجمُ
فلا قادحاتُ الاحن تقدح ها هنا ... صدوراً ولا غلّ وليس تخاصمُ
هنا يلتقى ضدٌّ بضدٍ، وها هنا ... تساوى نقىٌّ فى التراب وجارمُ
هنا مطرح الغاياتِ طرّاً وها هنا ... قصارى أمانىّ الورى تتراكمُ
هنا الحقّ يبدو فى جلالِ اهابهِ ... فتبطل أوهامٌ وتفنى مزاعمُ
هنا العالمُ المجهولُ رغم احتشاده ... بما هو مأهولٌ به متزاحمُ
هنا كلُّ شىء فى الحقيقة واحدٌ ... فما ميزته عن سواه معالمُ
هنا سرُّ هاتيك الحياة، وانما ... هو الموت ظلٌّ للحياةِ ملازمُ

ابراهيم زكى